الجغرافيا التاريخية والبشرية لبلاد المغرب القديم في القرن السادس الميلادي – دراسة من خلال ملحمة الحرب الليبية الرومانية للشاعر فلفيوس كريسكونيوس كوريبوس–

د. بعيطيش عبد الحميد– قسم التاريخ والآثار – جامعة باتنة1

الملخص:

تعتبر ملحمة فلقيوس كريسكونيوس كوريبوس (Flavius Cresconius Corippu) غنية بالمعلومات الأولية شبه الصحيحة والفريدة عن الحروب التي قادها البيزنطيون بزعامة يوحنا ضد الثوار الامازيغ وعن أسماء المشتركين في هذه الحملة والتي حدثت وقائعها في الفترة ما بين سنة 546 و548م، وهي ذات أهمية كبرى من الناحية التاريخية والاجتماعية خصوصا فيما يتعلق بالقبائل الليبية من ناحية توزيعها وتواجدها وتقاليدها الاجتماعية.

Résumé :

Flavius Cresconius Corippus ou Corippe est un poète épique romain, Né dans la province d'Afrique vers 520. Ses deux œuvres principales sont la Johannide (en latin Johannis) et l'Éloge de Justin le Jeune (en latin In laudem Justini minoris).

Il aurait quitté la province d'Afrique pour Constantinople après avoir perdu ses propriétés durant la guerre contre les Maures et contre les Vandales.

المنارة للاستشارات

La Johannide ou De bellis Libycis, la plus ancienne des deux épopées, ne fut découverte qu'au début du XIX^e siècle. Répartie en huit livres dont le dernier demeure inachevé, la Johannide contient près de 5000 hexamètres

مقدمة:

إن شعوب بلاد المغرب القديم لم تترك مصادر كتابية كافية تتناول أوضاعها وأحوالها، ولكن هناك مصادر كتابية وأثرية وُردت فيها أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الإفريقي القديم ما قبل الاحتلال الروماني وقبيل الفتح الإسلامي للمنطقة، وتدلُّ هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات ، ويعتبر كتاب الحروب الليبية الرومانية للشاعر الأمازيغي كوريبوس ذو أهمية تاريخية كبيرة في وصف الإطار الجغرافي والبشري والحوادث التاريخية المختلفة التي وقعت زمانه، وهذا ما سأحاول التطرق إليه في هذه الدراسة.

هدف الدراسة:

إن الغرض الأساسي لهذا البحث هو رصد المعلومات والمعطيات التاريخية عن القبائل التي أوردها المؤلف في كتابه، فكثير من الباحثين يعتبرونه اعلم بالقبائل المنتشرة في بلاد المغرب القديم فيما يخص عاداتها، أماكن تواجدها، وسائل حروبها، تقاليدها المعيشية والاجتماعية وبهذا يمكن أن نلمح أي إشارة عن أسماء الأشخاص أو القبائل العربية في هذه المنطقة قبيل الفتح الإسلامي ، كما يمكننا أن نرصد التفاعل الحضاري بين شعوب المشرق والمغرب وكذا شعوب ضفتي البحر المتوسط. وعن الاهداف المرجوة من هذا البحث نذكر ما يلي:

المنارة للاستشارات

- إبراز أهم العناصر البشرية والتجمعات القبيلة التي كانت سائدة في بلاد المغرب القديم قبيل الفتح الإسلامي بفترة وجيزة (منتصف القرن السادس الميلادي).
- دراسة بعض الأطروحات التاريخية حول الأصول التاريخية لبعض المجتمعات المغاربية ومقارنتها بما أورده هذا المؤلف.
- ضبط الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب القديم واهم التغيرات الاجتماعية التي طرأت على شعوب المنطقة.
- إبراز الصورة التي يجب أن ننطلق منها في دراستنا للمجتمعات المغاربية عبر مصادره المتنوعة كتابية، دينية، أثرية ...الخ

1- لمحة عن الراوي فلقيوس كريسكونيوس كوريبوس:

إن الإسم الكامل للشاعر هو فلقيوس كريسكونيوس كوريبوس(Flavius Cresconius Corippus) ، فلا يعرف مكان ميلاده، لكن من خلال تحليلنا لملحمته يتبين لنا انه كان ريفي المولد والنشأة.

تعلم كوريبوس اللغة اللاتينية وبرع في النحو (grammaticus) ، ووظف براعته هذه في الكتابة والتأليف ليسترزق منها، ومن بين ما ألفه ملحمة الحرب الليبية (de Bellis Libycis) والتي تسمّى أحيانا اليوحانية (Johannis) نسبة إلى بطلها يوحنا، وفي بعض النسخ يطلق عليها اليوحانية الحروب الليبية (Johannis Seu de Bellis Libycis). كما أن الشاعر ألقى قصيدة طويلة في حفلة تتويج الإمبراطور جستين الثاني في 14 نوفمبر 565م ببيزنطه.

إن الأحداث التي عاصرها المؤلف معاصرة ملاحظ كان جاد الملاحظة، وسجلها تسجيلا شبه حرفي، وبهذا يعتبر عمله أهم مصدر يصف القبائل في شمال إفريقيا بعد عملي هيرودوتوس وبروكوبيوس، وهو أعلم بالقبائل

المنارة للاستشارات

الأمازيغية في خصائصها، عاداتها، أماكن تواجدها، وسائل حروبها، تقاليدها المعيشية والاجتماعية...الخ

في أثناء تجواله في بلاد المغرب التقى كوريبوس مع قائد الحملة البيزنطية يوحنا المرسل من قبل الإمبراطور جستنيان لفرض السيطرة على عموم شمال إفريقيا، ونشأت صداقة منافع بين الاثنين، فالشاعر في حاجة إلى دعم مادي ومعنوي، والقائد في حاجة إلى إعلام يسهل مهمته وعمل أدبي يخلد شهرته، وهكذا تولدت لدى الشاعر فكرة تأليف ملحمة تمجّد الاستقرار الذي ستفرضه السلطة البيزنطية القوية حسب رأيه. وبالرغم من تحيز الشاعر للسلطة البيزنطية إلا أن وطنيته تغلي أحيانا وفي أكثر من موضع ، وهو لا يخفي كرهه للحرب لما تجلبه من فوضى.

2- وصف الكتاب

تتألف الملحمة من ثماني فصول غير مكتملة في بعض فقراتها، تناولت وقائع تاريخية ثابتة وهي الحملة البيزنطية لإعادة استعمار شمال إفريقيا سنة 546م وسنة 548م. وبالرغم من تحيز الشاعر للسلطة البيزنطية إلا أن وطنيته تغلي أحيانا وفي أكثر من موضع.

يعود أقدم مخطوط وجد لهذه الملحمة إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وفي سنة 1820م خرجت أول طبعة له وقام الأستاذ مازوكيللي (P. Mazzuchelli) بإخراج طبعة غير وافية وبدون ملاحظات، علاوة على بعض الأخطاء الجغرافية والبشرية.

وفي سنة 1879م أعيدت طباعة الملحمة مرة أخرى من قبل الأستاذ الألماني بارتش (Partsch)، وفي سنة 1970م أخرجت آخر طبعة منقحة للمخطوط قام بها كل من يعقوب ديل وجوديير (f.r.d. Goodyear) ، والتي ترجمت إلى العربية من قبل الأستاذ محمد الطاهر الجراري سنة 1988م.

المنارة للاستشارات

بالرغم من التزكيات إلاّ انه يجب التذكير بان الملحمة ليست كلها حقائق تاريخية، بل تحتوي الكثير من المبالغات التي قد تقتضيها أحيانا ضرورات العمل الملحمي كالمزج بالخرافة.

وأسلوب كوريبوس واضح لحد كبير وهو كثير الاستعمال للجمل القصيرة وكثير ما يكرر الأفكار والكلمات فهو مولع بذكر التفاصيل ،كما انه يكثر من استخدام التضاد وبيان التطرف في النقائض (الخير والشر، القوة والضعف، الشجاعة والجبن). ويتضح من اسلوبه تأثره بالشعراء الكلاسيكيين أمثال فرجيل (Virgil) واوفيد (Ovid) ولوكان (Lucan) وكلاوديان (Claudian) وغيرهم من الشعراء الملحميين، غير ان الملاحظ في ملحمته هو غياب آلهة الالمبس عن مسرح الأحداث لكون الشاعر مسيحيا لا يؤمن بتلك الآلهة التي كانت سائدة في معتقدات الشرق القديم.

3- الجغرافيا التاريخية والبشرية في شمال إفريقيا من خلال بعض المصادر الكلاسيكية:

تحدد الجغرافيا التاريخية الشمال الإفريقي القديم أو بلاد البربر كما يرد في بعض البحوث من حوض النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، ففي هذه المنطقة الجغرافية الواسعة ظهر المجتمع الإفريقي القديم واستمر، فقد أمدتنا المصادر الإغريقية والرومانية والبيزنطية بالكثير من المعلومات حول الجماعات الليبية القديمة التي كانت تعيش في المنطقة المعروفة قديما باسم ليبيا بمعناها الواسع، وقد استقينا معلوماتنا هذه من خلال ما تركه هؤلاء الكتاب من أخبار معظمها كانت خليطاً بين الحقائق والأساطير، وكان على رأس هؤلاء الكتاب (هيرودوت) القرن الخامس قبل الميلاد، و(سكيلاكس) القرن الرابع قبل الميلاد، و(سالوست) القرن الأول قبل الميلاد و(استرابون) و(ديودورس الصقلي) و(بليني الأكبر) القرن الأول الميلادي، و(بطلميوس الجغرافي) القرن الثاني الميلادي، و(بروكوبيوس القيصري) و(كوريبوس) القرن السادس الميلادي، فقد رأى (هيرودوت) أن ليبيا تمتد من

المنارة للاستشارات

حيث تنتهي مصر الغربية. وقد حدد ساحل ليبيا الشمالي بمايلي بحيرة مريوط إلى رأس (سولوجوس) (رأس سبارتل) جنوبي طنجة على المحيط الأطسي[1]. وقد أشار بان المجموعات السكانية التي تقيم على امتداد هذه المنطقة كلها تنتمي إلى أرومة واحدة وهي موزعة على مجموعات من القبائل عدا الأجزاء التي يقيم بها الإغريق والفينيقيين[2]. وقد جعل هيرودوت بحيرة تريتونيس والتي تقع على الأرجح عند خليج قابس الحد الفاصل بين مجموعتين من الليبيين احدهما تعيش إلى الغرب من البحيرة، وتتألف من زراع آلفوا حياة الاستقرار، والأخرى تعيش إلى الشرق من البحيرة وتتألف من بدو رعاة[3]، ونلاحظ أن هيرودوت لم يفرق بين هذه المجموعات الليبية من حيث الجنس وإنما من حيث اختلاف نوع حياة كل منهما عن الأخرى، كما انه ليس لدينا من المصادر التاريخية الكافية التي تثبت بالضبط دخول بلاد المغرب في التاريخ عن وجود كيان سياسي مكتمل الشروط قبل ظهور قرطاجة، ولكن هناك مصادر كتابية وأثرية وُردت فيها أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الإفريقي القديم ما قبل الاحتلال الروماني، وتدلُّ هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات.

كانت القبيلة في اغلب مراحل تاريخ الشمال الإفريقي جسما متحركا وقد أشارت المصادر الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية إلى هذا التوزع، ثم فصّلت فيه بعض المصادر العربية كابن خلدون، ومنه نستنتج بأن ذلك التوزّع قديم ويدل على وشائج القربى بين شعوب الشمال الإفريقي عبر مراحل التاريخ، حيث كانت للقبيلة الواحدة امتدادات في كل الجهات والمناطق، وكانت حركة القبائل أداة للدمج الاجتماعي وهو الوضع الذي كان قائما منذ البدايات الأولى لتكون مجتمع الشمال الإفريقي.

المنارة للاستشارات

إن النظام القبلي في إفريقيا الشمالية قديم جدا، ففي النصوص اللاتينية والإغريقية إشارات إلى الجماعات القبلية القديمة في هذه المنطقة، ويكون الشمال الإفريقي قد وصل إلى هذا الشكل من التنظيم على امتداد مراحل تاريخيه طويلة نتيجة لتراكمات اجتماعية في السلم والتضامن بين أفراد القبيلة فتكونت الأعراف التي تنظم الحياة الاجتماعية بحيث تحولت القبيلة إلى قوة سياسية انبثقت منها الدولة في شكلها الملكي على يد كونفدراليات قبائل كبرى.[4]

كانت الحياة القروية في بلاد المغرب القديم أول شكل من أشكال التجمع السكاني، حيث كان السكان يتمركزون في مواقع تجمع بين وفرة الماء والحصانة الطبيعية، وهي الشروط

الأساسية لتخطيط القرى والمدن في عموم الشمال الإفريقي، وقد لاحظ بلينوس الأكبر أن القرية في إفريقيا الشمالية لا تختلف عن مثيلاتها في باقي بلدان البحر المتوسط[5]، وهذه القرى هي التي أشارت إليها المصادر اللاتينية بعبارة كاستيله (Castella) (القلاع) وهي نواة اغلب مدن إفريقيا الرومانية مثل: تيفست، تالة، تاكاباس، تيجيس، تيبيليس، تيديس، ..الخ ، وفي هذه المدن ظهرت أشكال التمدن الأمازيغي الأول وتطورت الحياة الحضرية بالاحتكاك بالقرطاجيين ثم الرومان، ووجدت في المدن الإفريقية جاليات تجارية بونية ورومانية وإغريقية.

وينبغي أن نتساءل هنا عن خلفية الطروحات الحديثة المتعلقة بقدماء الشمال الإفريقي، والتي تطرح سؤالا نادرا ما تطرحه عندما يتعلق الأمر بأقاليم وجهات أخرى في العالم، وهو من أين قدم قدماء الشمال الإفريقي؛ والواقع أن هذا السؤال الذي راج خلال الفترة الاستعمارية في دوائر استعمارية كان يريد أن يجعل من هذه المنطقة بلدا شاغرا دون شعب، وان الجميع فيه وافدون، وبالتالي

المنارة للاستشارات

ليس من حق أي احد أن يزعم بأنه أصيل والآخرون دخلاء، وأكثر من ذلك تحول تاريخ الشمال الإفريقي إلى ورشة بحوث عنصرية، ويبدو أن تفكيك حلقات تاريخ الشمال الإفريقي هي الخطوة الثانية في عمل هؤلاء وهي خطوة يراد منها تسهيل مهمة التلفيق والخلط.

4- الأوضاع السياسية في بلاد المغرب القديم خلال القرن السادس الميلادي:

إذا كان طموح يوستينيانوس (Justinien) الراغب في إنشاء إمبراطورية عالمية واسترداد أمجاد الرومان على ما يذكره بعض المؤرخين وراء الحملة[6]، فقد عدت لها عدة ضخمة من حيث عدد الجنود والإمكانيات ، أقلعت الحملة إلى إفريقيا في الثاني والعشرين من جوان سنة 533م بقيادة أحسن قادة الإمبراطورية وهو بليزاريوس[7] الذي عين على رأس ستة عشر ألف محارب بين المشاة والفرسان[8]، ونزلوا في منتصف سبتمبر عند رأس كبوديا (Caput-Valda) في الجنوب من حضر موت (سوسة) بعد ثلاثة أشهر من الإبحار، ورغم أن بعض مساعدي بليزاريوس قد طلبوا منه الإبحار ثانية والتوجه نحو قرطاجة مباشرة غير انه فضل أن يسلك الطريق البري عبر سلقطة (Sellectum) ولمطة (Leptis minors) وسوسة (Hadrumète) وقراس (Grasse).

عندما وصل خبر الإنزال البيزنطي في ساحل رأس كبوديا إلى آخر ملوك الوندال[9]جيليمار (Gelimer) أسرع بالكتابة إلى شقيقه اماتاس في قرطاجة لتجنيد الوندال لمواجهة الزحف البيزنطي، لكن استطاعت قوات يوحنا

المنارة للاستشارات

الأرميني (Jean l'Arménien) من قهر قوات اماتاس[10]، كما تمكن القائد البيزنطي بليزاريوس من قهر جيليمار ودخول قرطاجة في 14 سبتمبر 533م موبدون قتال.

أما بالنسبة للأهالي فقد التزموا الحياد في الصراع الدائر بين الوندال والبيزنطيين لغرض استنزاف قوة الخصمين، وبعد انتهاء الصراع حتى ثار الأهالي في المزاق التي سيطروا عليها بقيادة كوتزيناس Coutsinas الذي كان على رأس خمسين ألفا من الأهالي، وتمكنوا من إفناء الوحدات البيزنطية التي جاءت لنجدة المنطقة بقيادة ايقانوس (Aigan) وروفانوس (Rufin) ، وهو ما دفع سليمان (Salomon) إلى الإسراع إلى المزاق حيث دارت معركة فقد فيها الأهالي عشرة ألاف مقاتل، وبذلك يكون سليمان قد حقق انتصارا ساحقا على الأهالي.[11]

إن السياسة التي انتهجها الاستعمار الروماني والبيزنطي في شمال إفريقيا باعتماده سياسة القهر والاستغلال في حق الأهالي، وهي السياسة التي ثار ضدها الشعب الإفريقي وتتحول تلك المناطق الهادئة إلى السنة لهب يخرج منها محاربون شرسون نحو المقاطعات الرومانية، ومن بينهم اللواتاي (Levathae) الذين سماهم العرب البتر ثم سموهم بعد ذلك لواته[12]، وهم بدو جمالة بقوا على وثنيتهم يعبدون إلها في شكل ثور يسمى قورزيل (Gurzil) واله الحرب (Sinifère)، خاضوا مقاومة عنيفة ضد البيزنطيين (Byzance) وكانت جمالهم تنفر خيول الفرسان البيزنطيين.[13]

فقد كانت عملية الاسترداد البيزنطي قد جلب الخراب إلى المنطقة فمنذ يوستينيانوس تبدأ الفترة البيزنطية في إفريقيا أما الوقت الذي بدأ فيه الفتح العربي في عهد الإمبراطور كونسطان الثاني (Constant II) سنة 648م أين

المنارة للاستشارات

شهد تغيرات سوسيولوجية فهناك الأفارقة أو الامازيغ المترومنون في المدن والأرياف وحتى في عمق البلاد أحيانا وهناك المور (Moures)[14] غير المترومنين المنحدرين من قدامى البربر يضاف إليهم قبائل زناتة (Zénètes) ولواته وأشتات الوندال والجهاز العسكري والإداري البيزنطي وهم من الإغريق الشرقيين والسوريين هذا المجتمع أصبح تدريجيا منقسما إلى إمارات محدودة في بلد غير منظم وممزق ومفقر وفي هذه الفترة ظهر الفاتحون العرب.[15]

5- قبائل بلاد المغرب القديم من خلال ملحمة الحرب الليبية الرومانية:

يبتدئ كوريبوس كتابه الأول شاكرا وممتدحا القائد البيزنطي يوحنا على انتصاراته العسكرية قائلا:"إنني أشدو بأغاني لقادة الحرب ورجالها واغني للأمم المتوحشة وللدمار الذي تخلفه الحروب ، إنني اغني للخيانة ولمصرع الرجال وما يلاقونه من عنت ومشقة، إنني اغني للكوارث التي حلت بليبيا وللعدو الذي كسرت شوكته، اغني للجوع والعطش اللذين أوقعا جيشين في اضطراب مميت، إنني أغني للدول التي وقعت فريسة للاضطراب والفوضى وتدهور بها الحال وغلبت على أمرها، وأتغنى بقائد يتوج أعماله بانتصار عظيم[16]...فأنت قادر على معالجة الأمور في ليبيا، هلم بتحريك جيوشك وأعلامك وسارع إلى السفن، وعندما تصل عليك أن ترفع الغبن عن إفريقيا بما عرف عنك من شجاعة، واخضع بسلاحك المتمردين من اللواتيين واجعلهم يحنون أعناقهم الذليلة تحت أقدامنا بشجاعتك..."

ثم يصف لنا مشاهد للخراب الذي حل بليبيا قائلا:"...أخذ القائد يتطلع إلى شاطئ الأرض المحترقة، وشاهد ما خلفته الحرب الغاشمة من دمار ...كان الرماد مخلوطا بالدخان يعلو النجوم ويطلق على قبة السماء رشاشا من

المنارة للاستشارات

الشرر، وقد شاهد بعينيه لهيب النار يتصاعد ويتأجج ويلف جميع الأشجار في الأرض المحروقة...وكانت المدن في اضطراب وفوضى بعد ذبح أهلها ...."[17]

بهذه العبارات بدأ كوريبوس روايته حول الحملة البيزنطية على إفريقيا لاستعادتها ولإحياء المجد الروماني بها، فقد رسى القائد البيزنطي يوحنا على شواطئ بيزاكيوم (Byzacium) [18] وأرسل رسوله إلى قائد الشعوب اللواتية (Languanta) ليبلغه بالرسالة، فرد قائد الشعوب اللواتية برسالته التي دون فيها:"إن قائد الشعوب اللواتية الضاربة البطل جونفيان انتالاس (Guenfeian Antalas) طلب منا أن نسألك هذا السؤال:أنت يا يوحنا يا من تعرفك العصابات الماسيلية (Massylian) في أيام سليمان (Solomon) [19] الذي كان مصدر خرابنا ومصائبنا ...كم عدد رجالك الذين أفنتهم المعارك فوق الحقول؟...هل تتجاسر الآن على مهاجمة أمم لا تقهر؟ ألست تعرف بأس لواته في الحرب... هل تجرؤ أنت بقوتك الصغيرة التي سيكون الدمار مصيرها عن قريب على مجرد النظر إلى قواتي..."

وبمجرد وصول خبر الإنزال البيزنطي إلى القرى القريبة من الشاطئ الليبي خرج انتالاس (Antalas) أمير المغاربة إلى الحرب وكان يقود قبائله ذو البشرة البرونزية لتقاتل وتحصل على غنائم الحرب، وتبعته قبائل الفريكسيس (Frexes) (ربما قبائل الفراشيش)، وجماعات أخرى تنتمي إليهم بالقرابة، وكانوا جنودا مشاة ومن الفرسان، وتبعتهم قبائل ليبية أخرى كقبائل سينوسديسا (Sinusdisa) وقبائل سيلواكاي (Silvacae) وقبائل النافور (Naffur) بأسلحتها القاسية ثم قبائل سيلكادينيت (Silcadinet) التي أعدت للحرب عدتها وسط الغابات الكثيفة، ثم تبعتهم القبائل التي تقيم بجبال قوربوم[20]

المنارة للاستشارات

(Gurubum) والأودية وتلال ميركوري (mercury) افيرا (Ifra) بغاباتها الكثيفة، وتولى قيادتها القائد العنيف اوتيلتين[21] (Autiliten).

ثم تبعتهم كل من قبائل سيلوازام (Silvaizam) ومكاريس (Macares) وشيدت أكواخهما ومعسكرهما فوق جبال عالية شديدة الانحدار تكسوها الغابات الكثيفة، وتبعتها قبائل كونس (Caunes) وسلذاكتاي (Silzactea) التي يفصلهما جغرافيا نهر مجردة (Vadara)، ثم لحقت بهم قبائل جبل اقولوموس[22] (Agalummus) وقبائل جبل ماكوبياس[23] لتخوض غمار المعركة.

انتقل خبر الحشد والتعبئة لمواجهة الاجتياح البيزنطي إلى جموع القبائل القريبة والبعيدة من شمال إفريقيا، فسارعت العديد من القبائل إلى إرسال أبنائها لمواجهة قوات يوحنا، حيث سارعت قبائل منطقة ساسكار (Sascar)، ثم جاءت قبائل استريكس (Astrices) وقبائل اناكوتاسور (Anacutasur)، وقبائل سيليانوس (Celiannus) ، وقبائل أماكلاس (Amaclas) التي تعيش في منطقة زيرزيليس[24] (Zersilis) ، وسرعان ما أرسلت منطقة غاليكا (Gallica) رجالها الشرسين، كذلك بعثت منطقتي تيلباريس[25](tillibaris) وتالاكاتيان[26] (talalatean) رجالها لمحاربة البيزنطيين، وتجمعت قبائل لواته (Ilasquas) التي لا حصر لها وملأت قلوب العالم بالرعب (كما وصفها كوريبوس) وهي تزحف للأمام بسرعة وتبعتها قبائل اوستور[27] (Austur) وأطلقتالعنان لخيولها .[28]

المنارة للاستشارات

ثم جاء جنود قبيلة افورارس (Ifurares) بأسلحتهم المميتة، كذلك فان جماعات من قبيلة الموكتونيان (Muctunian) التي تعيش بنواحي السرت سارعت بدورها إلى المعركة [29] ورافقه قبائل لا حصر لها من جيميني بيترا (Gemini Petra)، ومن قبائل اوراسثانيان[30] (Aurasi Tanian) من مناطقها العالية وكانت تقاتل على ظهور الخيل وكان هؤلاء الفرسان مسلحين برماح ذات نصلين مثبتين في عصى من خشب الصنوبر القوي وغالبا ما كانوا يحمون ظهورهم بدروع قصيرة.[31]

كان الأهالي لا يغطون جنودهم بالدروع أو يربطون إليها سيوفهم كما جرت العادة بل كانوا يربطون سيوفهم بحبال ربطا خفيفا يسمح بان تتدلى أغماد السيوف على سيقانهم العارية، وكانوا يرتدون ألبسة من النسيج الخشن تتدلى من سواعدهم وكانوا يرتدون عباءات من الكتان يلبسونها من خلال رؤوسهم ويربطونها بعقدة محكمة

وبدأت القبائل الليبية تنادي آلهة الحرب لديها سينيفيري (Sinifere) ماستيمان (Mastiman) وينادون قورزيل (Gurzil) ، أما الجنود البيزنطيون فينادون ويدعون المسيح.[32]

بعد فترة من الحروب المتتالية بين الليبيين والبيزنطيين أعلن يوداس (Iaudas) (ملك الاوراس) صيف 535م الحرب على البيزنطيين وتبعه ستوتياس (Stutias) ، وتوجه على رأس ثلاثين ألف مقاتل ووصل حتى حدود التل، وجرت حروب في منطقة ميمبريسا[33] Membressa والتي انتصر فيها القائد البيزنطي بليزاريوس، كما جرت حرب أخرى في اوتينتي[34] (Autenti)

المنارة للاستشارات

دون أن تتمكن الحاميات البيزنطية من قهر جيش يوداس، فقرر سليمان في أواخر سنة 535م غزو الأوراس بعد أن آمن جانب اورتاياس (Ortaias) ملك الحضنة وماسوناس (Massonas) ، لكن الحملة فشلت بعد أزيد من أسبوع في مخانق الأوراس.[35]

من جانب آخر تحالف سليمان مع زعماء قبائل من ماسترشيان (Mastracian) وانظم إليه بيلاجيوس (Pelagius) الذي كان قائدا لمنطقة طرابلس ضد قبائل ميكاليس (Mecales) المعروفين بخشونتهم لكن البيزنطيين انهزموا شر هزيمة وسقط سليمان مصروعا .[36]

وهنا يذكر الراوي كوريبوس أن هناك من قادة البيزنطيين من انظم إلى صفوف الليبيين في الحرب من بينهم الضابط هيرموجينيس (Hhermogenes) وتاوروس (Tauras) والتي انظمت إليهم ثلة من القوات الرومانية.[37]

التقى زعيم القبائل الليبية جوينفيان انتالاس (Guenfeian Antalas) والقائد يوحنا (John) وجلب الكاهن الليبي أيرنا ثورا كمثال على وجود الإله أمون قرزل(Gurzil) (Ammonian) المقدس، لكن المعركة كانت في صالح البيزنطيين، فقام القائد يوحنا أمام جيشه شاكرا الرب على فوزه بالمعركة التي خاضها ضد الليبيين وقال:" يالها من أمة صلبة تلك التي جثت تحت أقدامكم أيها الرفاق... لم أر في أي مكان آخر حتى في فارس الهمجية أناسا مستعدين للموت عن طيب خاطر ويقدمون رقابهم للذبح وللاصطدام بالعدو مثل هؤلاء الناس.[38]

المنارة للاستشارات

ويمكن أن نستخلص من هذه الرواية عن الأهمية التي يمثلها الشعب الإفريقي وبلاده لدى الأمم الأخرى، بحيث يحاول هؤلاء في أحسن الحالات استمالة المغاربة وربط الصلة بهم لخدمة مصالحهم بل لنفي الأصالة عنهم فوق أرضهم للوصول إلى محصلة خطيرة وهي أن الجميع في هذه الأرض يكونوا قد هاجروا إليها، ومن خلال ذلك تمرير فكرة حق الجميع في التواجد هنا، وهي فكرة روجت لها جهات معينة لتهميش الشعوب الامازيغية التي عاشت بالمنطقة منذ ما قبل التاريخ ، ولم يكن التاريخ لصالح شعوب المنطقة لأنها كانت في وسط منافسة صعبة بالقوى المجاورة له.

من خلال ما سبق نستنتج أن المجتمع المغاربي ظلت حياته كغيره من مجتمعات الشعوب الأخرى يعتني بتقاليده وعاداته وأعرافه وبُناه الاجتماعية لضمان الانسجام والاستقرار على المستوى الاجتماعي عموما، وكانت الجماعة هي الهيئة الاجتماعية والسياسية الأولى التي أفرزتها الأعراف ومنها انبثقت القيادة السياسية، وكانت النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدى المجتمعات المغاربية تنمو تدريجيا لتشكل كيانا سياسيا كبيرا، ولكن ما كادت تكتمل حتى حل عليه الاستعمار الأجنبي لينهي هذه الزعامة ويحدث تأثيرا على كل الأصعدة.

الهوامش والحواشي :

[1] – مصطفى كمال عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، بنغازي ، المكتبة الأهلية، 1966 م، ص1.

2- Herodote,**Histoire** (texte etabli et traduit par Ph.E.legrand). éd- Paris ,Les belles Lettre ,1985, ,II,32.

3- Herodote, **Histoire**, IV, 186, 187.

المنارة للاستشارات

4- عقون محمد العربي، **الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصول والهوية**، الرباط، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 166.

5- Pline L'ancien, **Histoire Naturelle**, trad- Ajasson de Grandsagne, Paris, éd- Panckouke, 1829-1833, V,I.

6- Diehl (ch), **L'Afrique byzantine**, **histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709)**, Paris, éd. Leroux, 1896, pp 4,5.

7- بليزاريوس: Belisarius قائد بيزنطي أرسله الإمبراطور جستنيان للقضاء على الوندال.

8- Mercier (cf), **histoire de l'Afrique septentrionale**, Paris, T1, 1888, p157.

9- قبائل الوندال: قبائل جرمانية غزت فرنسا سنة 406م ، ثم اسبانيا بعدها عبروا إفريقيا سنة 429م واستولوا على قرطاجة سنة 439م، واستطاعوا سنة 455م غزو مدينة روما ونهبها، استمرت دولتهم حتى سنة 534م حين قضى عليهم القائد البيزنطي بليزاريوس.

10- Procope, **Guerre des vandales**, trad- Dureau de la Malle dans l'Algérie ou manuel algérien, Paris, éd- Firmin didot, 1852. I, 20.

11- Procopius, II, 11.

12- لواتة: لقد وصلتنا أول إشارة عن قبيلة لواتة عن طريق المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس القيصرى، من خلال كتابه الحروب الوندالية، ونلاحظ أن بروكوبيوس كان يرى بأن المور ولواتة اسمين لمجموعة سكانية واحدة كانت منتشرة فى كل المنطقة الممتدة من طرابلس وحتى تبسة بالجزائر. ونجده يشير إليهم عند حديثه عن المذبحة التى نفذها البيزنطيون فى مدينة لبدة ضد

المنارة للاستشارات

ثمانون شيخا من أعيان لواتة، ونجده يشير إلى المور على أنهم لواتة عند حديثه عن الحروب التي شنها الليبيون ضد حاكم إفريقيا البيزنطي سليمان، فنجده يتحدث عن المور ولواتة في طرابلس، والمور ولواتة في بيزاكيوم (سوسة بتونس) والمور ولواتة في تبسة بالجزائر. أنظر: عقون محمد العربي ، **الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الاصول والهوية**، الرباط، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010 ص 40.

13- عقون محمد العربي ،المرجع السلبق، ص 41.

14- المور: تقع أراضي المور ما بين المحيط الأطلسي في الغرب، ووادي مولوكا(ملوية) في الشرق، لقد توالى ذكر المور في الكثير من المناسبات منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد وحتى نهاية العصور القديمة ولقد ظل اسم المور حيا حتى العهد. وقد اشار بروكوبيوس إلى المور أيضا في كتابه الحروب الوندالية عندما تحدث عن القائد الليبي كابا وان الذي انتصر على الوندال. وقد وصفه بروكوبيوس بأنه كان يحكم مور طرابلس التي كانت تعني في ذلك الوقت إقليم المدن الثلاث (لبدة وأويا وصبراتة).

15- عقون محمد العربي ، المرجع السابق، ص 45.

16- فلقيوس كريسكونيوس كوريبوس، **ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني**،ترجمة، محمد الطاهر الجراري،ليبيا، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1989، ص46.

17- نفسه، ص24.

18- منطقة بشمال إفريقيا وكونت جزءا من ممتلكات قرطاجة، ثم أصبحت جزءا من ولاية إفريقيا الرومانية وتضم تقريبا تونس الحالية وغرب ليبيا.

19- سليمان، خلف القائد بليزاريوس في قيادته للجيوش البيزنطية بأفريقيا.

20- ربما هي جبال بتونس الحالية

21- كوريبوس، المصدر نفسه، ص 47.

المنارة للاستشارات

22- جبال تقع غرب ليبيا، المصدر نفسه، ص 47

23- ربما جبل بني ينس بتونس

24- ربما قبيلة زرزيس بتونس، المصدر نفسه، ص 48.

25- ربما مدينة رمادة بتونس، المصدر نفسه، ص 48.

26- ربما منطقة راس الصين بتونس، المصدر نفسه، ص 48.

27- يحدثنا كوريبوس عن قبيلة الاستوريين، بأنها كانت كثيرة العدد والعدة، وهي معروفة بشجاعتها وتخطيطها للحروب المثقنة للنيل من الأعداء. فهم يقومون بتجميع الإبل في صفوف متماسكة على شكل حواجز ويحفرون الخنادق، ثم يضعون مختلف قطعان الماشية وسط حلقة وذلك لكي يوقعوا بالأعداء في شراك هذه الحواجز، وبالتالي يمكن سحقهم في غمرة من الاضطراب والفوضى التي تنتاب الصفوف في مثل هذه الأحوال.

28- المصدر السابق، ص48.

29- المصدر نفسه، ص 49.

30- قبائل جيميني بيتر وقبائل اوراسثانيان، هي بالجزائر الحالية.

31- المصدر نفسه، ص ص 51 ، 52.

32- المصدر نفسه، ص 107.

33- كانت ضمن ولاية البروقنصل الرومانية ،تظم شرق تونس وغرب ليبيا. المصدر نفسه، ص 75.

34- قرية تقع بين مدينتي تيفيس Thavis وتيفست Theveste – تبسة شرق الجزائر.

35- Procope, II, 13, 17.

36- كوريبوس، المصدر السابق، ص 75.

37- نفسه، ص 86.

38- نفسه، ص123.

المنارة للاستشارات